هذه الاية الكريمة فيها فرج للأزواج وزيادة مخرج إذا قذف أحدهم زوجته وتعسر عليه إقامة البينة أن يلاعنها كما أمر ا D وهو أن يحضرها إلى الإمام فيدعي عليها بما رماها به فيحلفه الحاكم أربع شهادات با في مقابلة أربعة شهداء إنه لمن الصادقين أي فيما رماها به من الزنا { والخامسة أن لعنة ا عليه إن كان من الكاذبين } فإذا قال ذلك بانت منه بنفس هذا اللعان عند الشافعي وطائفة كثيرة من العلماء وحرمت عليه أبدا ويعطيها مهرها ويتوجب عليها حد الزنا ولا يدرأ عنهاالعذاب إلا أن تلاعن فتشهد أربع شهادات با إنه لمن الكاذبين أي فيما رماها به { والخامسة أن غضب ا عليها إن كان من الصادقين } ولهذا قال { ويدرأ عنها العذاب } يعني الحد { أن تشهد أربع شهادات با إنه لمن الكاذبين * والخامسة أن غضب ا عليها إن كان من الصادقين } فخصها بالغضب كما أن الغالب أن الرجل لا يتجشم فضيحة أهله ورميها بالزنا إلا وهو صادق معذور وهي تعلم صدقه فيما رماها به ولهذا كانت الخامسة في حقها أن غضب ا عليها والمغضوب عليه هو الذي يعلم الحق ثم يحيد عنه .

ثم ذكر تعالى رأفته بخلقه ولطفه بهم فيما شرع لهم من الفرج والمخرج من شدة ما يكون بهم من الضيق فقال تعالى : { ولولا فضل ا عليكم ورحمته } أي لحرجتم ولشق عليكم كثير من أموركم { وأن ا تواب } أي على عباده وإن كان ذلك بعد الحلف والأيمان المغلظة { حكيم } فيما يشرعه ويأمر به وفيما ينهى عنه وقد وردت الأحاديث بمقتضى العمل بهذه الاية وذكر سبب نزولها وفيمن نزلت فيه من الصحابة .

فقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد أخبرنا عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت { والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا } قال سعد بن عبادة وهو سيد الأنصار Bه : أهكذا أنزلت يا رسول ا ؟ فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم ؟ فقالوا : يا رسول ا لا تلمه فإنه رجل غيور وا ما تزوج امرأة قط إلا بكرا وما طلق امرأة له قط فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيرته فقال سعد : وا يا رسول ا إني لأعلم أنها حق وأنها من ا ولكني قد تعجبت أني لو وجدت لكاعا قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء فو ا لا آتي بهم حتى يقضي حاجته ـ قال : فما لبثوا إلا يسيرا ـ حتى جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم فجاء من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلا فرأى بعينيه وسمع بأذنيه فلم يهيجه حتى أصبح فغدا على رسول

ا صلى ا عليه وسلّم فقال : يا رسول ا إني جئت على أهلي عشاء فوجدت عندها رجلا فرأيت بعيني وسمعت بأذني فكره رسول ا صلى ا عليه وسلّم ما جاء به واشتد عليه واجتمعت عليه الأنصار وقالوا : قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة الان يضرب رسول ا صلى ا عليه وسلّم هلال بن أمية ويبطل شهادته في الناس فقال هلال : وا إني لأرجو أن يجعل ا لي منها مخرجا وقال هلال يا رسول ا فإني قد أرى ما اشتد عليك مما جئت به وا يعلم إني لصادق فو ا إن رسول ا صلى ا عليه وسلّم يريد أن يأمر بضربه إذ أنزل ا على رسوله صلى ا عليه وسلّم الوحي وكان إذا أنزل عليه الوحي عرفوا ذلك في تربد وجهه يعني فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي فنزلت { والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات با } الاية] فسري عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم فقال أبشر يا هلال فقد جعل ا لك فرجا ومخرجا فقال هلال : قد كنت أرجو ذلك من ربي D فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم أرسلوا إليها فأرسلوا إليها فجاءت فتلاها رسول ا صلى ا عليه وسلّم عليهما فذكرهما وأخبرهما أن عذاب الاخرة أشد من عذاب الدنيا فقال هلال : وا يا رسول ا لقد صدقت عليها فقالت : كذب فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم لاعنوا بينهما فقيل لهلال : اشهد فشهد أربع شهادات با إنه لمن الصادقين فلما كانت الخامسة قيل له : يا هلال اتق ا فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الاخرة وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال : وا لا يعذبني ا عليها كما لم يجلدني عليها فشهد في الخامسة أن لعنة ا عليه إن كان من الكاذبين ثم قيل للمرأة : اشهدي أربع شهادات با إنه لمن الكاذبين وقيل لها عند الخامسة : اتقي ا فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الاخرة وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت : وا لا أفضح قومي فشهدت في الخامسة أن غضب ا عليها إن كان من الصادقين ففرق رسول ا صلى ا عليه وسلّم بينهما وقضى أن لا يدعى ولدها لأب ولا يرمى ولدها ومن رماها أو رمى ولدها فعليه الحد وقضى أن لا بيت لها عليه ولا قوت لها من أجل أن يفترقا من غير طلاق ولا متوفى عنها وقال إن جاءت به أصيهب أريشح حمش الساقين فهو لهلال وإن جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين سابغ الأليتين فهو الذي رميت به فجاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين سابغ الأليتين فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم لولا الأيمان لكان لي ولها شأن [قال عكرمة : فكان بعد ذلك أميرا على مصر وكان يدعى لأمه ولا يدعى لأب ورواه أبو داود عن الحسن بن علي عن يزيد بن هارون به نحوه مختصرا .

ولهذا الحديث شواهد كثيرة في الصحاح وغيرها من وجوه كثيرة فمنها ما قال البخاري : حدثني محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن هشام بن حسان حدثني عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى ا عليه وسلّم بشريك بن سحماء فقال النبي صلى ا عليه وسلّم] البينة أوحد في ظهرك فقال : يا رسول ا إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا

ينطلق يلتمس البينة ؟ فجعل النبي A يقول البينة وإلا حد في ظهرك فقال هلال : والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن ا ما يبرىء ظهري من الحد فنزل جبريل وأنزل عليه { والذين يرمون أزواجهم } إلى قوله { إن كان من الصادقين } فانصرف النبي A فأرسل إليهما فجاء هلال فشهد والنبي A يقول إن ا يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب ؟ ثم قامت فشهدت فلما كان في الخامسة وقفوها وقالوا : إنها موجبة قال ابن عباس : فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت : لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت فقال النبي A أبصروها فان جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين خدلج الساقين فهو لشريك ابن سحماء فجاءت به كذلك فقال النبي رواه وقد الوجه هذا من البخاري به انفرد] شأن لها و لي لكان ا كتاب من مضى ما لولا A من غير وجه عن ابن عباس وغيره .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منصور الزيادي حدثنا يونس بن محمد حدثنا صالح وهو ابن عمر حدثنا عاصم يعني ابن كليب عن أبيه حدثني ابن عباس قال : جاء رجل الى رسول ا A فرمى امرأته برجل فكره ذلك رسول ا A فلم يزل يردده حتى أنزل ا تعالى { والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء } فقرأ حتى فرغ من الايتين فأرسل إليهما فدعاهما فقال :] إن ا تعالى قد أنزل فيكما فدعا الرجل فقرأ عليه فشهد أربع شهادات با إنه لمن الصادقين ثم أمر به فأمسك على فيه فوعظه فقال له كل شيء أهون عليه من لعنة ا ثم أرسله فقال لعنة ا عليه إن كان من الكاذبين ثم دعاها فقرأ عليها فشهدت أربع شهادات با إنه من الكاذبين ثم أمر فأمسك على فيها فوعظها وقال : ويحك كل شيء أهون من غضب ا ثم أرسلها فقالت : غضب ا عليها إن كان من الصادقين فقال رسول ا A أما وا لأقضين بينكما قضاء فصلا قال : فولدت فما رأيت مولودا بالمدينة أكثر غاشية منه فقال إن جاءت به لكذا وكذا فهو كذا وإن جاءت به لكذا وكذا فهو كذا فجاءت به يشبه الذي قذفت به [.

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان قال : سمعت سعيد بن جبير قال :] سئلت عن المتلاعنين أيفرق بينهما في إمارة ابن الزبير فما دريت ما أقول فقمت من مكاني إلى منزل ابن عمر فقلت : يا أبا عبد الرحمن المتلاعنان أيفرق بينهما ؟ فقال : سبحان ا إن أول من سأل عن ذلك فلان بن فلان فقال : يا رسول ا أرأيت الرجل يرى امرأته على فاحشة فإن تكلم تكلم بأمر عظيم وإن سكت سكت على مثل ذلك فسكت فلم يجبه فلما كان بعد ذلك أتاه فقال : الذي سألتك عنه قد ابتليت به فأنزل ا تعالى هذه الايات في سورة النور { والذين يرمون أزواجهم } حتى بلغ { أن غضب ا عليها إن كان من الصادقين } فبدأ بالرجل فوعظه وذكره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الاخرة فقال : والذي بعثك بالحق ما كذبتك ثم ثنى بالمرأة فوعظها وذكرها وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الاخرة فقالت المرأة : والذي بعثك بالحق إنه لكاذب قال : فبدأ بالرجل فشهد أربع شهادات

با إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة ا عليه إن كان من الكاذبين ثم ثنى بالمرأة فشهدت أربع شهادات با إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب ا عليها إن كان من الصادقين ثم فرق بينهما [رواه النسائي في التفسير من حديث عبد الملك بن أبي سليمان به وأخرجاه في الصحيحين من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن حماد حدثنا أبو عوانة عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد ا قال : كنا جلوسا عشية الجمعة في المسجد فقال رجل من الأنصار : أحدنا إذا رأى مع امرأته رجلا إن قتله قتلتموه وإن تكلم جلدتموه وإن سكت سكت على غيظ وا لئن أصبحت صالحا لأسألن رسول ا A قال : فسأله فقال :] يا رسول ا إن أحدنا إذا رأى مع امرأته رجلا فقتل قتلتموه وإن تكلم جلدتموه وإن سكت سكت على غيظ اللهم احكم قال : فأنزلت آية اللعان فكان ذلك الرجل أول من ابتلي به انفرد بإخراجه مسلم فرواه من طرق عن سليمان بن مهران الأعمش به .

وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا أبو كامل حدثنا إبراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن سهل بن سعد قال : جاء عويمر إلى عاصم بن عدي فقال له : [سل رسول ا A أرأيت رجلا وجد رجلا مع امرأته فقتله أيقتل به أم كيف يصنع ؟ فسأل عاصم رسول ا A فعاب رسول ا A المسائل قال : فلقيه عويمر فقال : ما صنعت ؟ قال : ما صنعت إنك لم تأتني بخير سألت رسول ا A فعاب المسائل فقال عويمر : وا لاتين رسول ا A فلأسألنه فأتاه فوجده قد أنزل عليه فيهما قال : فدعا بهما فلاعن بينهما قال عويمر : لئن انطلقت بها يا رسول ا لقد كذبت عليها قال : ففارقها قبل أن يأمره رسول ا A فصارت سنة المتلاعنين وقال رسول ا A أبصروها فإن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الأليتين فلا أراه إلا قد صدق وإن جاءت به أحيمر كأنه وحرة فلا أراه إلا كاذبا فجاءت به على النعت المكروه] أخرجاه في الصحيحين وبقية الجماعة إلا الترمذي من طرق عن الزهري به .

ورواه البخاري أيضا من طرق عن الزهري به فقال : حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع حدثنا فليح عن الزهري عن سهل بن سعد أن رجلا [أتى رسول ا A فقال يا رسول ا أرأيت رجلا رأى مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل ؟ فأنزل ا تعالى فيهما ما ذكر في القرآن من التلاعن فقال له رسول ا A : قد قضى فيك وفي امرأتك قال : فتلاعنا وأنا شاهد عند رسول ا A ففارقها فكانت سنة أن يفرق بين المتلاعنين وكانت حاملا فأنكر حملها وكان ابنها يدعى اليها ثم جرت السنة في الميراث أن يرثها وترث منه ما فرض ا لها] .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا النضر بن شميل حدثنا يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن زيد بن بتيع عن حذيفة Bه قال : قال رسول ا A لأبي بكر [لو رأيت مع أم رومان رجلا ما كنت فاعلا به ؟ قال : كنت وا فاعلا به شرا قال : فأنت يا عمر ؟

قال : كنت واﷲ فاعلا كنت أقول : لعن اﷲ الأعجز فإنه خبيث قال : فنزلت { والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم }] ثم قال : لا نعلم أحدا أسنده إلا النضر بن شميل عن يونس بن إسحاق ثم رواه من حديث الثوري عن ابن أبي إسحاق عن زيد بن بتيع مرسلا فاﷲ أعلم .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجرمي حدثنا مخلد بن الحسين عن هشام عن ابن سيرين عن أنس بن مالك Bه قال : لأول لعان كان في الإسلام أن شريك بن سحماء قذفه هلال بن أمية بامرأته فرفعه إلى رسول اﷲ A فقال رسول اﷲ A [أربعة شهود وإلا فحد في ظهرك فقال : يا رسول اﷲ إن اﷲ يعلم إني لصادق ولينزلن اﷲ عليك ما يبرىء به ظهري من الجلد فأنزل اﷲ آية اللعان { والذين يرمون أزواجهم } إلى آخر الاية قال : فدعاه النبي A فقال اشهد باﷲ إنك لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنا فشهد بذلك أربع شهادات ثم قال له في الخامسة ولعنة اﷲ عليك إن كنت من الكاذبين فيما رميتها به من الزنا ففعل ثم دعاها رسول اﷲ A فقال قومي فاشهدي باﷲ إنه لمن الكاذبين فيما رماك به من الزنا فشهدت بذلك أربع شهادات ثم قال لها في الخامسة وغضب اﷲ عليك إن كان من الصادقين فيما رماك به من الزنا قال : فلما كانت الرابعة أو الخامسة سكتت سكتة حتى ظنوا أنها ستعترف ثم قالت : لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت على القول ففرق رسول اﷲ A بينهما وقال انظروا فإن جاءت به جعدا حمش الساقين فهو لشريك بن سحماء وإن جاءت به أبيض سبطا قصير العينين فهو لهلال بن أمية فجاءت به جعدا حمش الساقين فقال رسول اﷲ A لولا ما نزل فيهما من كتاب اﷲ لكان لي ولها شأن]